



الأثر الفني بين التشكيلي و الفرجوي

(التصوير الحي لإيف كلاين)

الدكتور هيسرى زخامة

المقدمة:

شهد الفن في القرن العشرين ثورة فنية مخالفة لمقاييس الفن الكلاسيكي . حيث أصبحت الأعمال الفنية تتميز ببناء شكلي ولوني ومفاهيمي جديد . كذلك على مستوى الأداء اختلفت الطرائق و تنوعت من فنان لآخر كل ذلك وظّف لتسليط الضوء على الظروف الاجتماعية والإقتصادية والسياسية، ليحمل العمل الفني في تلك الفترة راية رافضة للمقاييس السابقة ، وفي المقابل يقدم الفنان نموذجاً فنياً مختلفاً يعبر فيه عن إدراكه للواقع ومن ثم يفسر نزاعاته و انفعالاته النفسية والفنية ايزاء واقعه وبقية الظواهر الوجودية . انطلاقاً من هذا التعريف سنسلط الضوء على فنان الواقعية الجديدة" إيف كلاين " باعتباره تفرد بأعماله الامادية ذات الطابع الروحي لبيني رؤيته المختلفة والتي تهدف بالأساس إلى تغيير المجتمع إلى الأفضل والتناهي مع مبدأ نسخ الواقع والمشاركة في تطوير العالم ، كلاين بحث عن طرق جديدة لرؤية الواقع فحدود الفن بالنسبة له مرهونة بدرجة استيعابه للحياة وليس بادوات شكلية بعيدة عن الواقع و الاهم من ذلك الغوص في أعماقه و خفاياه إذ يعتبر بيار ريستاني أنّ هذا الواقع هو محور الاحساس والابتكار بالفن و أوسع من الحدود. المتوقعة والأليفة

من خلال جدلية الاختلاف والائتلاف سنتبين في هذا المبحث ومن خلال أنثروبومترية الفترة الزرقاء كيفية تناول كلاين لأعماله الفنية وأهم الاليات التي ميزت هذا الفنان عن غيره من فناني عصره. فهو يدعونا بطريقة مدهشة إلى النظر داخل العمل الفني وإلغاء نقطة النظر الثابتة والتوجه إلى منطلقات جديدة من حيث طريقة الأداء و التعطي مع المادة الفكرية و اللونية للوصول إلى اغراض لا مادية, تترجم بقدرٍ ما الفضاء" النشكوي "الذي يالفه إيف كلاين.

ان ذلك ما دفعنا لطرح جملة من التساؤلات و الإشكاليات التالية :



- ما هي الرهانات التي وضعها كلاين في عمل "انثروبومترية الفترة الزرقاء" بالاعتماد على "الفرشاة الحية" وكيف تم تحويلها الى اثر فني ؟

- الى أي مدى امتزج الحوار الذاتي و الموضوعي في ابداع كلاين ؟ و الى أي مدى نجح الفنان في تأليف المفاهيم و التقنيات في هذه التجربة ؟

- هل أن المعاني الكامنة في بواطن النفس و هاجس البحث عن الحقيقة المطلقة بالنسبة لكلاين و القلق على مصير القضايا الموجودة من شأنها أن تنكشف و تتجلى في عمل انثروبومترية الفترة الزرقاء ؟

ايف كلاين : رمز اللامادي

إيف كلاين أحد أهم و أشهر رسّامي و فنّاني فرنسا في النّصف الثّاني من القرن العشرين ولد سنة 1928 و توفّي سنة 1962, فكان سلوكه الفنّي تمهيدا للنظرية الاجتماعية التي بدأت مع الدّادائية في أوائل العشرينات من القرن الماضي. " اعمال ايف كلاين ذو طابع روحي و صوفي. المراجع الرمزية والأسطورية متعددة. في صلب اهتماماته، نجد النار والألوان (الأزرق، الذهبي والوردي). الكون، واللامادي يأخذ مكان أساسي في أعماله".¹ رؤيته للعالم مبنية على أربعة قوى طبيعية كونية وهي: الماء، التّار، الهواء والأرض. فعبرت الألوان الثلاثة عن الشّمس والتّار من خلال اللون الذهبي الدّم من خلال اللون الزّهري والماء والسّماء من خلال اللون الأزرق. هاجس هذا الفنان هو " الحقيقة المطلقة " فأعطى المادة التصويرية دور الهواء والفراغ و ترك كلاين المجال للجسد الإنساني للقيام باللوحات وبالتالي فإن العمل الفنّي حسب إيف كلاين أثر من التواصل بين الفنّان والعالم إذ يقول "لم تكن لوحاتي إلا رماد فني"². تأثر كلاين واضح بأفكار غاستون بشلار الروحية، الذي يدعو الانسان للبحث عن الوجود الحقيقي النابع من داخل الانسان و نقد العالم الخارجي انطلاقا من مواد نقية مجردة غير ملموسة ولا مشوهة بأفكار تزييف الواقع المادي . يقول بشلار "اننا نعيش في عالم نائم علينا أن نوقظه بواسطة الحوار مع الآخرين، وما يبقاظ العالم إلا شجاعة الوجود بأن نوجد ونعمل ونبحث، نخترع، نبدع، نخلق"³



يعتبر بير رستاني الناقد أن أعمال كلاين المثال الأول لتصوير فلسفة هيغل التي تقول إن كل شيء في الوجود ليس ثابتاً أو جاهزاً أو نهائياً، فكل شيء حسب هيغل يتحرك، يتغير و ينمو و يموت و في الحقيقة هو لا يموت بل يموت شيء منه ليولد في شيء آخر و بشكل آخر في علاقة بين الإنسان و العالم.

اختلقت الثقافات لدى إيف كلاين بين تأثره بآراء بعض الفلاسفة و يقيم بعض الفنانين و بالدين المسيحي و بالثقافة البوذية لتجعل منه فنان فريد و مختلف في أفكاره و تصوراته و إبداعاته مكنته من فتح المجال لفن جديد يخاطب الواقع من منظور خاص و يعالجه من خلال توجه جديد.

الأثر الفني بين الاختلاف والائتلاف: التصوير الحي لإيف كلاين

فن كلاين يهدف إلى تغير المجتمع إلى الأفضل و التناهي مع مبدأ نسخ الواقع و المشاركة في تطوير العالم دفعه للبحث عن طريقة جديدة لرؤية هذا الواقع فحدود الفن مرهونة بدرجة استيعابه للحياة ليس بأدوات شكلية بعيدة عن الواقع بل الغوص في أعماقه و خفياها الروحية , يقول بير رستاني " سيصبح محور الإحساس والابتكار بالفن أوسع من الحدود المتوقعة و الأليفة ".⁴

تقديم العمل

عرض أدائي للفنان إيف كلاين 9 مارس 1960 في المعرض العالمي للفن المعاصر بباريس , مركب من أوركسترا متكوّنة من عشرون موسيقى . أرضية مسرح المكان مفروشة بمساحات ضخمة من ورق الرسم في الجانب ثلاث فتيات عاريات برفقة الفنان إيف كلاين و بحضور الجمهور.

إيف كلاين بكل أناقة يقود العرض و يعطي إشارة البداية للموسيقيين . فتياتاه يدهن بالأزرق الصّدر و البطن و الأفخاذ بتوجيهات الفنان , يطعن أجسادهنّ و يعاودن الكرة على المساحات الفارغة البيضاء , إحداهن تمرغ نفسها هنا و الأخرى تسحبها على الورقة بعناية و تنتهي الموسيقى عشرون دقيقة صمت صارم يكتم الجميع فيها النفس في تأمل الأسطورة التي صنعت قبل لحظات . " الأسطورة تكمن في الفن"⁵ كلمة الفنان الأخيرة . ساعة روحية لجميع الحاضرين محورها الجسد.



صورة من عرض أنثروبومترية الفترة الزرقاء 1960 أثناء قيام النسوة بطباعة اجسادهن تحت توجيهات الفنان ايف

كلاين⁶

"برفورمانس" لم تكن إلا تمهيد لفعل صناعة اللوحة التشكيلية وهو فعل يخلق التماس المباشر و الحس بين أجساد أولئك النسوة و قماشة اللوحة الملقاة على الأرض أو المثبتة في الجدار، هذا الفعل الأكثر إثارة هو الذي كان يترك على سطح اللوحة خبرة جمال لا يمكن التنبؤ بها. يعرض إيف كلاين في هذا العمل مفاهيم جديدة للجسد حتى من خلال تسميته لهذا العرض " أنثروبومترية الفترة الزرقاء " هذا ما دفعنا للكشف عن هذا المفهوم باعتباره أول نتيجة لما سماه إيف كلاين " بالفرشاة الحية" و الأنثروبومترية "مصطلح ابتدعه بير رستني أنثروبو هو مصطلح يوناني بالأساس و مترى هو القياس , الأنثروبومترية هو إجراء قياس لأجزاء الجسم البشري و تحديد معايير لها من أجل استخدامها في عرض ما و بهدف فهم الاختلافات المادية البشرية. " ⁷

تركيبة كاملة من العمل الفني , كل شيء محسوب و مرتب بدقة و بطريقة جديدة في مساحة حرة تتراوح بين المأ و الفراغ في تخاطب و تفاعل بين الفنان و الجمهور , بين الفنان و الفرقة الموسيقية و كذلك بينه وبين " الفرشاة الحية " ما يسعنا هنا إلا أن نتحدث عن لمة فنية كاملة و تفاعل بين مختلف الفنون , التشكيلية الموسيقية و المسرحية . " طقوس (التجليات التوليفية) التي عرفت تحت أسم البرفورمانس يعتمد هذا الاتجاه بشكل عام على الحدث العابر المشهدي و على تحالف شتى الفنون التوليفية من مؤثرات صوتية و ضوئية إلى السينوغرافي و الكوليجرافي و الرقص والحركات الإيمائية و الديكورات المسرحية والتصوير الجداري و إسقاطات الفيديو ... " ⁸



إن ممارسة إيف كلاين للفن ما هو إلا مخاطبة واضحة للأوضاع الفنية السابقة الكلاسيكية التي خاطبت الجسد على أنه شهوة و جنس، يخاطب نظرة الشك والتفكيك التي تغلغت في مفاصل الجسد الثقافي . جسدها إيف كلاين بطريقة جديدة في مساحة حرّة. جدلية كاملة بين الملاءم والفراغ بين الموجود والكائن بين الواقع والخيال . عمل كلاين مزيج من الفنون في لوحة فنية واحدة و كأنه حوار مزدوج يرسم لوحة متكاملة سمعياً وبصرياً . و هنا يجدر بنا القول ان الفنان لا يخاطب خيال المتفرج بل فكره وفي ذلك حركة ارتقائية. ليوصله الأثر الباقي على اللوحة هو هاجس كلاين في اعماله، لهذا كلاين يستدعي كل الأليات لترسخ عمله وفنه فبالموسيقى يترسخ العمل الفني في ذهن المشاهد كلما سمعنا الموسيقى تذكرنا بلحظة أو لذكرى معينة. يقودنا عرض كلاين بمختلف وسائطه الفنية المختلفة إلى فن مفاهيمي حدسي يسعى إلى جذب عقل المتلقي و ليس عينه فقط , و المشاركة الفعالة له دون التركيز على المهارات التقنية و دقتها (ضد التقنيات الكلاسيكية المحاكية للواقع) و هذا ذاته نموذج كلاين المختلف لإزالة الحواجز الاتصالية بين الفنان و الجمهور و بين الفن التشكيلي وبقية الفنون.

في الفراغ قوة كامنة:

قراءة إيف كلاين للمكان ثورة على الفن التقليدي الذي يعرض في المتاحف والمؤسسات الفنية من جهة ومن جهة أخرى فإن إيف كلاين في هذا العرض يهتم بفكرة الفراغ المتجسدة في أجساد فتياته و بصماقن و في اللون الأزرق الذي يشير للفراغ باعتباره لون السماء البحر و الأثير. يقول الناقد دينيس تريويلر "الثورة العالمية السياسية والاقتصادية (ثورة زرقاء) هندسة المساحات، تكييف الطبيعة، الفرشات الحية، مسرح الفراغ الجديد. أسطورة الواقع الجديد".⁹

انشغال إيف كلاين في هذا العرض بالأجساد هو كذلك انشغال بفكرة الفراغ إصرار على اختيار لون واحد الأزرق يعني التركيز على الجوهر لخلق صورة عبر قيادة ذهنية و حضور روحي دون أن تلمس يد الفنان المادة.

الفراغ تجسّد من خلال اللطحات التي قامت بها " الأجساد الفراغية " فاللطخة ليست إلا مجرد وجود شيء حضور في فراغ و ترك فراغ في فراغ وهو الاتجاه الذي يبيّن فكرة التعامل المباشر مع الأشياء كما في الواقع بدلا من الإيهام بما تصويريا على سطح ما أي تحرير الفن من إجهاداته المرئية أو الغير ملموسة و كون الجسد مبصوما و ليس مرسوما هو في الغالب الغوص أكثر في فكرة الفراغ لأن الجسد اختفى و لم يبقى إلا أثرا اللون الأزرق يدعم أكثر فأكثر الفراغ لآته يجعلنا على اللامتناهي



على الشفاف والأهم من ذلك ستأخذنا هذه الخامة الهشة للتأمل أكثر و بصفة أعمق في البصمات البشرية الذائبة في هذا اللون فتحلق بحدسنا إلى عناصر الوجود الأربعة: الماء، الهواء، النار و التراب. "الفراغ في نظر كلاين غير مرئى، لكنه بتأكيد ليس الاقل تنظيميا. عنصره الميكاني الأساسي هو الموى مروج للطاقة في الفضاء مصممه يطوعه برغبته إلى ضغط جوي."¹⁰

للتأكيد على انشغال إيف كلاين بفكرة الفراغ قام هذا الفنان بعرض شهير أسمه "الفراغ" سنة 1958 في غاليري إيريس كلير بيرهن من خلاله كيف أن القيمة الروحية غير الملموسة هي الحقيقة المطلقة التي ليست لها علاقة بنقيضها وهي عالم المحسوسات و الأشياء التي تراها في شوارعنا و حياتنا اليومية. في هذا العرض أفرغ إيف كلاين صالة العرض كلياً و دعا المشاهدين إلى التأمل داخل المكان الصامت و الخالي من كل شيء و كتب "أبير كامو" بعد رؤيته العرض " في الفراغ قوة كاملة" رؤية فنية متجددة من حيث الفكرة و التجسيد يضع أمامنا جملة من التساؤلات عن سبب الخروج عن المؤلف الفني و القطيعة مع الماضي إلى عمق الإحساس و البحث عن المطلق و الحقيقي .

فهل هذا تعبير من طرف كلاين عن مخاوف الإنسان الحديث و عن خوفه من الوجود و الموت ؟ أم هو بحث عن الحقيقي و المطلق من وراء أجساد فراغية و لون أزرق و بصمات و فراغ و العديد من مبادئ التي اتخذها كلاين سندا في أغلب أعماله في ظل عصر تملأه التناقضات ؟ هذه التساؤلات تستوجب منا الغوص أكثر فأكثر في خفايا فلسفة إيف كلاين لعلنا نجد الهوية النفسية التي تقود هذا الفنان وراء أجساده الفراغية و لونه الأزرق في هذا العرض أنثرو مترية الفترة الزرقاء ؟

لقد تأثر الفنان إيف كلاين بفلسفة الزن نظريا و تطبيقيا و هذه الفلسفة ترتبط ارتباط وثيق بالمعنى الأصلي للفراغ لذلك لا بد لنا من تعريفها لما كانت لها من وقع في ذهن الفنان و في أعماله

• فلسفة الزن

"هي فلسفة التأمل العميق من خلال حكايات و قصص و خواطر و قصائد عن الطبيعة وانطباعات حولها و يعرف مذهب الزن بأنه فلسفة أو مذهب اللا شيء وهو سلوك ذهني و طريقة محتملة لإدراك الواقع وهو رؤية الشيء المجرد من دون معرفة ذهنية قبلية و بلا تشويش انفعالي ,وهو مذهب ظهر وانتشر في الصين و الهند و اليابان في القرن السادس ميلادي مؤسسه دهيانا أو بو ديدارما " ¹¹



الزن إذن محاولة لإطلاق النفس و العقل و الروح من قيد الجدران التي تحبس الذهن مدعية أهما تحميه والذهن حسب هذه الفلسفة ذهن متحرك و ملم بكل من حوله من أفكار و قضايا تكمن في الفراغ و الصمت و التأمل و الزهد في شيء ما في الحقيقة و في الحكمة و في الكثير من القضايا الفكرية .

"الصمت وسيلة لمعرفة الحقيقة و الحكمة سر ما أن يلامسه الفكر حتى يتوارى فقد كان راهبان يتجادلان طويلا أيهما الذي يتحرك؟ الرؤية أم الهواء , فقال لهما المعلم , لا الرؤية و لا الهواء ذهنا كما هو الذي يتحرك"¹².

هذا التحليل لمعنى الفراغ يقودنا إلا أن هذه اللحظات التي يبحث عنها كلاين هي لحظات مؤقتة و زائلة . ألا يتطابق هذا مع أحساد كلاين الفراغية أو بمعنى أوضح البصمات الجسدية التي تحيلنا إلى الأثير و كأن هذه الأجساد المنغمسة في اللون الأزرق تقودنا إلى التساؤل لمن هذه البصمة هذه الكتلة الزرقاء فارغة من حيث الشكل مليئة من حيث المعنى . فكرة الفراغ لم تتواجد في البصمات الجسدية فقط بل هو تطرق بسيط قاد أذهاننا أثناء العرض , إن وجود الفنان في حد ذاته في ساحة العرض فراغ في فراغ لم يتدخل في عملية خلق الصورة و كأنه يتخلى عن صفته الإنسانية كفتان . نوع من الإيمان بالصدفة التي تصنع فناً تلقائياً جسده من خلال " الفرشاة الحية " التسمية التي سمي بها النساء اللاتي قمن بطباعة أجسادهن على الورق و بالتالي تلقائية تلاشي الفنان وسط فنه و داخل هذا الوجود كجسد و الحضور ذهني و فكري للوصول بالذات إلى الفراغ الوجودي و كذلك النفسي , الوصول للشيء .

الجسد بين التخفي والتجلي

ابتعد إيف كلاين في عمله هذا " أنثرومترية الفترة الزرقاء " عن استخدام كل الأساليب و المواد الخامة التقليدية للرسم فبدلاً من استخدام الفرشاة لرسم الموديولات استخدم أجساد النساء كفرشاة تتحرك على الركح يلتفتن في اللون الأزرق و بعد ذلك يلتصقن في لوحات فارغة لتتركن بصماتهن , فتنطبع هذه الأجساد بصفة عفوية فرادى أو بجانب بعضها البعض لتبدو في هيئة أجساد برية تسحب الأذهان إلى منطقة خيالية بدائية إلى عصر الكهوف بحس معاصر و مفاجئ للجميع تقول منى بسة صاحبة كتاب النار و اللهب في تحليلها لانثرومتريات إيف كلاين " مع الانثرومتريات ، الفنان يستكشف هذا المجال المثير للبصمة وإمكانياته اللامتناهية. يختلط مع أمزجة الضوء والظلام مع كل أجواء الخيال ركب الموت بعد الحياة ، الوجود قبل



الغياب ، الضوء قبل الظلام مباشرة لأنه قبل أن يكون هذا الأثر هذا الدليل الذي يمكن رؤيته ، كانت البصمة قبل الولادة طاقة

تحتضر " 13

نتيجة عرض أنثربو مصرية الفترة الزرقاء 1960



صورة من عمل انثر ومصرية الفترة الزرقاء 1960 اثار لأجساد النسوة المطلخة باللون الازرق¹⁴

من هذا المنطلق زاد كلاين الجسد غموضا حين أذابه و أخفاه في تلك البصمات (أشباه الأجساد) ، النسوة لم يتركن على قماشة اللوحة إلا ما يزيد عن غموضهنّ الجسد هنا ليس مصدر إلهام حسّي بل اثر يخاطب به كلاين البصيرة التي تتخطى الرؤية الخارجية للأشياء، هذا إن دل على شيء فهو يدل على أنه يسعى إلى هدم وإعادة بناء الجسد من جديد بطريقته و بأسلوبه الخاص . فغاية إيف كلاين ليس في هدم الجسم كجسم و كتلة و إنما هدم الأفكار و المعتقدات السائدة باعتبار أن الجسد مقدّس و له حرّامات اجتماعية و أخلاقية و دينية " قدسية الجسد " لا يمكن انتهاكها و اختراقها بأي صفة. كانت أجساد كلاين تتخطى الوصفة التقليدية في رسم جسد المرأة ليصنع من خلالها حيز اللقاء الروحي بطباعة أجزاء من الجسد، الثديان وهي منطقة الرضاعة وهي المنطقة الواهبة للحياة هي حسب معجم الرموز الحياة بالنسبة للمولود الجديد، أيضا يمكن القول أن البطن عضو العطاء لم يفقد مطلقا معناه البدائي الأم ، والأم كالأرض اذن الثديان و البطن هما رمز الحنان و العطاء رمز للمرور بمراحل الحياة من الولادة للشيوخوخة. أمّ الأفخاذ هي " رمز الحركة والقوة في الجسد " ¹⁵. نجد ان كلاين لم يبن في رموزه منطقة التناسل و هي الشّهية للحياة ، أما الرأس الذي يعد رمز للتفكير و رمز للعقل المدير مفقودة و لا وظيفة له . استعمال كلاين للرموز والمعاني وقدرته الكبيرة على تجسيدها يعد من أهم و أرقى الأعمال الفنية في القرن العشرين. "اعتبر يونج الرموز والأحلام مادة ثرية لدراسة الفن الإنساني لأنها المادّة التي تتجسد فيها الأنماط الأولية للاشعور الجمعي في أبلغ صورها... الرمز دائما أكثر من معناه الواضح." ¹⁶ كلاين غير صفة الجسد الحبيس لفكرة غالبا ما تكون جنسيّة وهي فكرة تحون الجمال لأنّها هتمم بظاهره لا هتمم بأثره المدوّنة والذي يعبر عن عمق هذا الجسد الموجود بالأساس لترسيخ القيمة الثابتة و العميقة



للوجود الإنساني . بتقنية الفرشاة الحيّة حرّرت كلاين الجسد الأنثوي من طغيان إيهامه السّلي وطبع اثر القوة الطاغية عند المرأة الا وهي الحياة .

في خضم كل هذه الأفكار يعيش ايف كلاين من موقعة إحساس المتلقّي و الفنّان الملهم لهذا العمل في آن واحد إذ يقول "بجذبه الطّريقه لا تتسخ أصابعي بالأصباغ و نفسي هي الأخرى تكون بمنأى عن اللون و يستولد العمل الفنّي نفسه من نفسه من دون أن أحرك جسدي" ¹⁷

رؤية إيف كلاين للأنوثة رؤية مفاجئة بتفتّحها على المدهش و الغريب والاستثنائي رؤية تُقاطع النظرة السّطحية لجسد مليء بمخافتات أسمى من الشّهوة و الجمال الخارجي ليخترق بأجساده الفراغية عالم الحقيقة و مصدر الحياة من خلال عمل فنّي متكامل تقنيا و متواصل حسياً لولادة لوحة فنّية بطريقة إيف كلاين المختلقة و المتفرّدة في فن القرن العشرين. يرى كلاين الجسد بعد قبلة هيروشيما رؤية خاصة , رأيه أن الإنسان شهد تفكّك المادة و الجسد حتى أنه لم يبقى منه إلا بقايا الظل على الأرض و الجدران , كتب كلاين في هذا الموضوع قائلاً " في صحراء كارثة هيروشيما الذريّة لم يبقى في الأجساد إلا الظلال . إلا أن هذه الظلال لم تبرهن عن فظاعة الحادثة بل أكّدت من جهة أخرى على وجود أمل البقاء غير ملموس لعجبة الجسد" ¹⁸. من هذا المنطلق أخرج إيف كلاين الجسد في عمله أنثرومترية الفترة الزّرقاء وبقية أعماله الجسدية من هامشيتها على أنه مدّس و لا يجب كشفه و اختراق حدود المألوف ليتحوّل جسم المرأة من ممكن لرغبة فطرية إلى رغبة في تمثيل و فحص و معاينة وجودية واعتبره " منشأ العالم " و هذا لا يكتمل إلا بتدخّل عقلي يلغى صيغاته و مميزات هذه الأجسام من مفهومها الثابت و السائد إلى جوهر الشيء و روحها التشكيلي .

تجديد الفن المعاصر باللون الأزرق

إذا قلنا إيف كلاين نقول كذلك اللون الأزرق فهو صاحب الثّورة الزّرقاء في الفن المعاصر , هذا اللون أقرن باسم هذا الفنّان فيه يكشف لنا عن مبادئه و أحاسيسه و به يثور على المبادئ الكلاسيكية القديمة. كثير من المهتمّين في العالم يعرفون كلاين من خلال استخدامه الحري للون الأزرق حيث تواجد في أغلب أعماله الفنّية، فمنحها حضوراً غامضاً ومشعاً يلغى ماديتها و يجعل من إطار اللوحة أمراً ثانوياً ولفهم هذا اللون و ما يتمتع به من أبعاد و عمق لا بد لنا أن ننظر في دلالاته أولاً و علاقته بعمل كلاين و أجساده ثانياً.



دلالات اللون الأزرق

الأزرق " يرمز للماء و الجليد و البرودة و الصفاء و الابتهاج و البعد " ¹⁹ حسب المعاجم و التقاد اللون الأزرق هو لون السماء وهو منعش شفاف يمثل التقاء و التدين و التأمل و يعكس الثقة و البراءة وهو اللون الأنسب للهدوء. ارتبط اللون الأزرق ارتباط وثيق بالسماء واللائمائي لذلك عبّر به المصريون عن الخلود هو رمز للهدوء و الخيالية. يُعرف محبّي اللون الأزرق بـهدوتهم و خيالهم وابتعادهم عن الواقع لعله حال الفنان إيف كلاين في هذا العرض لأنه يعتبر الأزرق التقاء، الهواء و الفراغ الذي يعبر بها عن قوى الروح و الخيال للكشف عن ما وراء اللون المليء بالأحاسيس الملامسة للأوضاع الاجتماعية و السياسية. " الأزرق إنه اللون الأعماق والأقل مادية. " ²⁰ كما صرّح كلاين " يذكرني اللون الأزرق بالبحر و السماء وهو اللون الأكثر تجريدا في الطبيعة التي نراها و نلمسها " ²¹. من خلال لونه الأزرق إيف كلاين في عرضه أنثروبومترية الفترة الزرقاء يرمز للروحي و اللامادي و الجرد، هو رأى في هذا اللون الرابط بين الجسد و اللامادة له، فلقد اختصر كلاين في هذا العمل أجساد الموديلات في اللون الأزرق هذه دلالة لإدراك الجانب الروحي في الفن. " مقارنة بجميع الألوان الأزرق مرتبط في أغلب الأحيان بالعالم الروحي "

22

إصرار إيف كلاين على استخدام لون واحد في عرض أنثروبومترية الفترة الزرقاء يعني الزهد في اللون التركيز على الجوهر عن طريق إقصاء كل ما يشوش هذا الجوهر كاستخدام ألوان أخرى تفسد نقاء و صفاء هذه الأجساد أو بالأحرى بقايا الأجساد المطبوعة على اللوحة. يقول كلاين "عندما كنت في عمر المراهقة كتبت اسمي في الجهة الأخرى من السماء و ذلك خلال مرحلة حارقة و هميّة " واقعية-متخيلة " في ذلك اليوم عندما كنت ممددا على شاطئ نيس أردت أن أبرهن عن كرهى للعصافير التي تخلق هنا و هناك في سمائي الجميلة الزرقاء دون غيوم لأنها حاولت أن تخلق فتحات في أجمل و أكبر أعمالى " ²³ هذا هو أزرق كلاين الذي يخترق به الحدود و يخلق به في سماء صافية و بروح نقية تبحث في حقيقة كانت مغطاة بألوان و أشكال أخرى , هذا الفضاء الذي يتأمله كلاين فضاء واسع هو رمز للعقل و الحكمة اللون الأزرق هو لون السكون و الهدوء لون البحث عن المطلق. من خلال هذا العرض نعود للمحة في تاريخ هذا الفنان , فقد ابتداء كلاين يرسم بطريقة الطباعة سنة 1948 بعدها دخل في مرحلة زرقاء و الزهد في اللون حيث يعتبر لون كلاين المثالي هو الأزرق و الأول في مجموعة " دراسات أحادية اللون ". تعرض لنقد اللاذع و رفض عرضه في صالون الرسم الواقعي الجديد لكن إيف كلاين تحدّى رفض التقاد و عرض عمله أزرق كلاين العالمي و كان محتوى هذا العرض حوضا مملوءا بمسحوق اللون الأزرق اختصر عنوانه بثلاثة أحرف IKB (أزرق



كلاين العالمى) وهى ترمى لاستعمال اللون الصافى قبل أن تدخل عليه أى مادة. كلاين "فنه الحقيقى والمثالى غير ملموس. له أن يكون الفنان الذى يرسم بدون أن يرسم " لأنه هو نفسه " إيف أحادي اللون". رمز اللامادى".²⁴ إيف كلاين اكتسح الساحة الفنية بأزرقه . ارتباطه بهذا اللون أصبح أشبه بجنون يريد إعادة بناء عالم بأكمله باللون الأزرق. هو يريد أن يحيط نفسه وبقية العالم بأشياء لامادية ليفتح المجال للذهن والخيال أن يسبح فى عالم كله صفاء ونقاء.



الخاتمة

تجربة إيف كلاين تجربة فريدة، راقية ومختلفة. هو ظاهرة فنية ربما لن تتكرر في العصور اللاحقة تجرته اللامادية، والأنثروبومته تجربة ثورية شكلا ومضمونا من هنا تأتي الأهمية الكبيرة للتأمل في العناصر الحسية المرتبطة بشكل لا فكاك منه مع تلك الظواهر للحياة التي عاشها الفنان إيف كلاين في الجنوب الفرنسي " نيس " وتأثره برياضة الجو دو لينتقل إلى طور مرحلة جديدة يخلق عوالمه من عندياته ليألف هذه العوالم من أنظمة متعسفة، اللون والجسد و الفراغ و الإيقاع و القطع مع أنسجة الخامات التقليدية التي كانت متبعة في واقعية هذه المبادئ. هي تعبير عن موقف الواقعية الجديدة كتيار فني معاصر ينقد الواقع السياسي والاجتماعي والأخلاقي والسعي لتفجير الأطراف الضيقة التي أفرزتها الأوضاع ما بعد الحرب العالمية الأولى والتي كرس إيف كلاين العقلانية الفنية التي تواصلت مع بداية القرن العشرين.

الهوامش

¹ L'œuvre d'Yves Klein est très emprunte de spiritualité et de mysticisme. les référence symbolique et mythique y sont multiples. au cœur de ses préoccupations, la flamme et ses couleurs (bleu, or et rose) le cosmos et l'immatériel tiennent une place primordiale. Mona Bessaa, *le feu et la flamme dans l'art contemporain*, L'Harmattan 2007, p.75

² Mes tableaux ne sont que les cendres de mon art. Marco Meneguzzo, *L'Art au XXème siècle II. L'Art contemporain*, hazan, p116

³ أسعد عرابي، مقال بعنوان "الاتجاهات ما بعد الحداثة"، مجلة الحياة التشكيلية دمشق، العدد 55-56، 1994 ص. 74

⁴ أشرف الشار، مدخل إلى فن التصوير الحديث والمعاصر، مكتبة نانسي دمياط، ص. 213

⁵ <http://video.google.com/videoplay?docid=8740788055380975237>

⁶ La historia narrada a través del arte: Yves Klein, "La Vida en Azul" (lahistorianarradaatravesdelarte.blogspot.com)

⁷ نفس المصدر السابق، ص. 88

⁸ أسعد عرابي، مقال بعنوان "الاتجاهات ما بعد الحداثة"، مجلة الحياة التشكيلية، دمشق، العدد 55-56، 1994 ص. 64

⁹ Révolution mondiale politique et économique (Révolution bleu) architecture de l'aire , climatisation de la nature , pinces vivants , théâtre du vide , mythologie du nouveau réalisme. "Denis trierweiler, l'art de l'exposition une documentation sur trente expositions exemplaires de XXe siècle, éditions du reoard, p .259.

¹⁰ Le vide chez Yves Klein est certes invisible mais il n'en de meure pas moins structuré . Son élément structurel fondamental est l'air , promoteur de l'énergie dans l'espace . Le créateur le transforme selon son desir en augmentant la pression atmosphérique " Denis trierweiler, l'art de



l'exposition une documentation sur trente expositions exemplaires de XXe siècle, éditions du reoard, p .259.

¹¹ هنري برويت، ترجمة محمد الدنيا، أجمل حكايات الزمن يتبعها فن الهايكو، سلسلة إبداعات عالمية، المجلس الوطني لثقافة والفنون والأدب الكويت ص10-11

¹² نفس المصدر، ص. 260.

¹³ «Avec les Anthropométries, l'artiste explore le domaine passionnant de l'empreinte et de ses infinis possibles. Il côtoie dans le clair et l'obscur toutes les ambiances de l'imaginaire. Dans le plein et le vide rode la mort après la vie, la présence avant l'absence, la lumière Just avant l'ombre car avant d'être cette trace cet indice que l'on peut voir, l'empreinte avant de naître était une énergie mourante » Mona Bessa, le feu et la flamme dans l'art contemporain, l'aramattan, p77.

¹⁴ La historia narrada a través del arte: Yves Klein, "La Vida en Azul"

(lahistorianarradaatravesdelarte.blogspot.com)

¹⁵ "cuisse par sa fonction dans le corps, support mobile, la cuisse signifie également la force" jean chevalier, alain gheerbrant, Dictionnaire des symboles, bouguins. p 129.

¹⁶ شاكر عبد الحميد، العملية الإبداعية في فن التصوير، عالم المعرفة 1987 ص.36

¹⁷ فاروق يوسف، جريدة الشرق الأوسط، تحت عنوان الراعي إيف كلاين يعود إلى باريس الأربعاء 11 أكتوبر 2006

¹⁸ يوسف غزاوي، الصراع الفني التشكيلي الأميركي - الأوروبي. مدرسة نيس الفرنسية نموذجاً جريدة السفير 2011

¹⁹ محي الدين طالود، اللون علماً وعملاً، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة ص11

²⁰ "LA couleur la plus profonde et la moins matérielle" encyclopédie des symboles, Paris, le livre de poche 1996 p 84

²¹ يوسف غزاوي، الصراع الفني التشكيلي الأميركي - الأوروبي. مدرسة نيس الفرنسية نموذجاً جريدة السفير 2011

²² "Pour toutes les couleurs le bleu est celle qui est le plus souvent associée au domaine spirituel». Mona Bessa, le feu et la flamme dans l'art contemporain, l'aramattan, p78.

²³ يوسف غزاوي، الصراع الفني التشكيلي الأميركي - الأوروبي. مدرسة نيس الفرنسية نموذجاً جريدة السفير 2011

²⁴ Son art véritable, l'idéal de son art est immatériel. Il consiste à pouvoir être le peintre sans devoir peindre. Car il lui-même "Yves le monochrome". symbole de l'immatériel. Marco Meneguzzo, *L'Art au XXème siècle II. L'Art contemporain*, hazan, p121.